

المحاضرة السابعة

الاتجاه السياسي الليبرالي الذرائعي (البراغماتي)

اولاً: وليم جيمس^١

كان وليم جيمس في بداية أمره (١٨٤٢-١٩١٠) عالم نفس ولكنه كان مهماً في الفلسفة لاعتبارين: فهو الذي أبتكر النظرية التي دعاها (التجريبية الاصلية) وكان أحد ثلاثة من زعماء النظرية المسماة (البراجماتية أو الاداتية) وفي المتأخر من حياته أصبح الزعيم المميز للفلسفة الامريكية وكان لاهتماماته الفلسفية جانبان، أحدهما: علمي أمدته دراسته للطب أفكار وميل نحو النزعة المادية، أما الثاني فكان ديني حيث أمدته مشاعره وعواطفه وديانته البروتستانتية بالحماس للديمقراطية والود الانساني.

يرى وليم جيمس ان صحة الافكار تأتي من الاثار او النتائج العملية له اي بقدر ما ان تكون مفيدة لحياتنا فلا يمكن القول ان النظام السياسي البرلماني او الرئاسي هو مفيد لنا بقدر ما ان تتبين لنا نتائجها وأيهما الافضل فيكون الحكم عليها من النتائج المترتبة عليها اي ما يقدمه هذا النظام لنا من منافع او خير(الهواء، الكهرباء....)، لا يمكن ان نتلمسها لكن يمكن ان الحكم عليها من آثارهما فالهواء لا يمكننا العيش من دونه والكهرباء لا يمكن تلمسها فلها فوائد كبيرة لا يمكن الاستغناء عنها، أي انه الحكم على الاشياء والوقائع يكون من خلال النتائج وليس بدلالة النظر الى المبادئ والمقولات العقلية أي أنه دونزعة تجريبية علمية فلا يعرض بالكل المطلق بل بالتعددية والجزئية فالمجتمع يتكون من مجموعة من الافراد والدولة لا ينظر لها على أساس مطلق واحد كما هو رأي هيجل بل انها تتكون من مجموعة مختلفة الافراد.

لقد إعتد جيمس في كتابه (البراغماتية) على آراء الفيلسوف الانكليزي(شالرز شاندر بيرس ١٨٣٩_١٩١٤) مرة في بحث له بعنوان (كيف نوضح أفكارنا) فبين ان أي

^١ وهو فيلسوف وعالم نفس اميركي من اصل ايرلندي وشقيق الروائي الكبير هنري جيمس وهو من دعاة البراغماتية وتلقى العلم والفلسفة في المعاهد والجامعات الاميركية والانكليزية والفرنسية والالمانية حتى حصل على الدكتوراه في الطب من جامعة هارفرد ١٨٧٥، و١٨٧٩ عين استاذاً للفلسفة حتى استقالته ١٩٠٧ واهم كتبه البراغماتية.

فكرة نعملها وقبل ان نحولها الى سلوك او ممارسة علينا معرفة نتائجها التي يجب ان تكون ذو فائدة فتكون تلك المعرفة من خلال خبرتنا او احساسنا بنتائجها.

أي ان افكارنا لاتأتي أهميتها من مطابقتها للواقع او لابل من نتائجها الخيرة او الصادقة فلايهم ان كانت فكرة منطقية أو معقولة المهم آثارها في الحال او في المستقبل فالإيمان بالله له آثار إيجابية في المستقبل او بعد الموت بأن تدخل الجنة او الشعور بالسعادة والرضا في الحياة اي ان اثار الفكرة تكون مباشرة كما لو كان في فكرنا تشكيل او تأسيس مؤسسة معينة له نتائج إيجابية مباشرة او انتخاب (س) من الناس له مصلحة إيجابية او تشريع قانون له نتائج إيجابية لنا مباشرة أو نتائج غير مباشرة كما هو الحال في المسائل الاعتقادية الدينية.

إذن الفكر السياسي لجيمس يقوم على أساس امكانية التعددية والاختلاف والتسامح فهو يقبل بوجود الاشتراكيين،العدميين،الفوضويين، لان المنافسة بينهم ستقوض الافكار غير السليمة من خلال التجربة ولايمكن تقدم المجتمع الامن خلال احترام الفرد واولويته على المجتمع لذلك يرفض فكرت هيجل التي يؤمن فيها بفكره المطلق التي تؤمن بان الدولة هي تفتحاً لروح الالهية في التاريخ او تجسيد للحق او لمصدره بل هو يؤمن بالسلطة غير المطلقة للدولة وبحرية الفرد والامم لكن ليس دائماً فهو لايبدي اي عطف على الاستعمار الامريكي للفلبين فيرى جيمس ان الحرب هي نزعة عدوانية سيكولوجية في الفرد فالسلام يبعث على الجمود والناس بحاجة الى الاثارة من أجل الحفاظ على تماسك الامة وهذا لا يتم الا من خلال نزعة حربية لكن دون دماء (البديل الاخلاقي) أي تجنيد الزامي للشباب يعمل بعض منهم في المناجم، البناء، الافران،الصيد ...أي لا يؤمن بالحرب لكن أبدى تعاطفاً وشيئاً من الرومانسية مع حروب الماضي.

ثانياً: جون ديوي (١٨٥٩-١٩٥٢)^٢

بالرغم من اهتمامات جون ديوي في التربية الا انه كانت له آراء وطروحات في الجمال والفلسفة والنظرية السياسية وهو أبرز البراغماتيين الذي يرى ان الفكر هو

^٢ ولد في ولاية فرمونت الاميركية وحصل على شهادة الكتوراه في الفلسفة ١٨٨٤ واصبح ١٨٩٤ رئيساً لقسم الفلسفة والتربية ولعلم النفس في جامعة (النيويز) في شيكاغو وهنا أبتدأ بثورته التربوية اذ اسس مدرسة تجريبية جرب فيها نظرياته الجديدة فاناردهشة جميع المشتغلين في هذا الحقل وقد تنكرت سلطات الجامعة لتجارب ديوي فأستقال ١٩٠٤ ليلتحق بكلية المعلمين في جامعة كولومبيا حتى إعتزاله الخدمة ١٩٣٠ وتوفي ١٩٥٢

لحل إشكالية معينة أي انه مجرد أدوات تنحصر قيمتها ووظيفتها في قدرتها على اقتيادنا نحو وقائع وخبرات مستقبلية أي نتائج مثمرة في المستقبل أي أن التفكير هو لمواجهة (موقف) معين يتطلب حل لذلك يعرف (الموقف) بانه مجموع موضوعات وأحداث مرتبطة دائماً بسياق كلي او عالم كلي محيط بنا تم اختياره من قبلنا) اي لايعني انه موضوع وحدث فردي يعتمد على الخبرة كما وضح وليم جيمس الذي اعتقد ان الوصول الى المعرفة يتم من خلال الخبرة والاحساس بقيمة تلك الفكرة لكن جون ديوي يعتقد بـ(الموقف والتحقق) كأساس لمعرفة أما **التحقق** فيري ديوي ان بعض المواقف غير محددة وتبعث على الشك مما يستلزم من التحقق من خيرها او صدقها او نتائجها ان كانت مفيدة او غير مفيدة اي من خلال البحث والنشاط الانساني.

لقد صاغ ديوي معتقداته الاخلاقية بدلالة المسائل السياسية والاقتصادية الكبرى حتى دفع البعض لاعتقاد بأنه لايهتم بالفردية لكنه يعتقد بان النشاط الجماعي يوفر للفرد وحيثه لكيفية استخدامها او الحصول عليها لذلك فهو يؤمن بالديمقراطية ليس من أجل تحقيق العدالة الاجتماعية بل من أجل الليبرالية السياسية فالمهم ليس نتائج الديمقراطية التي تؤدي الى الحرية السياسية بل يجب ان تهتم بالوسائل لذلك هو يؤمن بالديمقراطية الاجتماعية التي سبق ان تحدثنا بها التي جاءت بعد الازمة الاقتصادية ١٩٢٩ و ظهور النظرية الكنزية وتطبيق روزفلت للديمقراطية الاجتماعية من خلال اراء كينز التي أدت الى ظهور دولة الرفاهية لذلك المشكلة ان تحقيق الديمقراطية ليس بنتائجها فقط بل بكيفية اعتمادها فليس المشكلة هنا في الديمقراطية هو تحقيق (العدالة الاجتماعية) لان الاخيرة هي من مستلزمات النظام الاشتراكي وليس الليبرالي لكن براغماتية ديوي تطلب الاهتمام ليس فقط بالنتائج.